قارورة التراب الدموي .. الرمز والدلالة

حسين علي الجبوري

تشير الاخبار المتوارثة الى أن ارض كربلاء مخلوقة منذ الازل لتكون مسرحا لمعركة ألطف ومكانا لتسيح عليه دماء الحسين (ع) ومنها تمتد الى أبعاد قصية من الكون، وقد أنبأ الملاك (جبرائيل) محمد (ص) بذلك ووصف له مقتله، فذكر ان (جبرائيل) جاء النبي (ص) بتراب من تربة كربلاء وقال له: -متى تفجر هذا التراب دما فاعلم ان الحسين قد قتل.

فوضع النبي (ص) التراب في قارورة أودعها عند زوجته (أم سلمة) وقال لها:- متى مارأيت هذا التراب صار دما فاعلمي ان ولدي الحسين قد قتل.

فصانت أم سلمة (القارورة) عندها وفي إحدى الليالي بعد وفاة النبي (ص) رأت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه واله في المنام وهو مكتئب وعليه ثياب مغبرة معفرة، فقال لها:- إني قادم من كربلاء ومن مدفن الشهداء.

فنهضت أم سلمة من نومها مرتعبة ونظرت الى القارورة فوجدت التراب صار دما فعلمت ان الحسين قد قتل وارتفع صوتها بالبكاء والنحيب ثم أعلنت النبأ في المدينة، (بحار الأنوار/ ٢٠٩/٢٦) ولم تكن (القارورة) وحدها هي المنبئة بمقتل الحسين إنما أنبأت به ظواهر دموية أخرى فقد حصل الدم في بيت المقدس مهد المسيح النازف دمه على الصليب، بحيث ان الناس هناك لم يرفعوا حجرا ولا مدرا الا وجدوا تحته دما عبيطا وليس في هذا المكان فحسب بل ذكر انه مارفع حجر من الدنيا الا ووجدوا تحته دما عبيطا، ولقد أمطرت السماء دما وبقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت، ثم ظهرت حمرة الدماء في السماء عند كل غروب وشروق وماكانت هذه تظهر الا بعد ان اصطبغت الارض بدماء الحسين. (إحقاق الحق /٤٦٢/١١، ٤٨٢)

صوت الدماء:

إن مشهد التراب المخضب بالدماء يرمز في منظور العقائد الانسانية الى دلالات عميقة فهو يمثل لعنة الارض على القتلة سافكي دماء الابرياء، وأول قاتل لعنته الارض (قابيل) قاتل أخيه فقد ناداه الله بعد فعلته الشنيعة قائلاً:-

ماذا فعلت.. ان صوت دم أخيك يصرخ الي من الارض..

فمنذ الان تحل عليك لعنة الارض التي فتحت فاها وابتلعت دم أخيك الذي سفكته يدك، عندما تفلحها لن تعطيك خيرها وتكون شريدا وطريدا في الارض.

(تكوين/٩/٤)

وهكذا أصبح القاتل وباء على الأرض المزروعة فإذا سار عليها يبست زروعها وغارت عيونها وجفت أنهارها لذلك كان يطرد من الارض، يقول السير جيمس فريزر:

لقد اخبرني اهالي منطقة (الحيانية) في بلاد المغرب

إن القاتل لم يكن يسمح له ان يسير فوق الحقول الخضر او يدخل حدائق الفواكه او ان تطأ قدمه مكان درس الحنطة او الغلال او يسير بين الخراف او الوقوف على بئر وحتى انه لايسمح له بذبح أضحية العيد ولايأكلون من ذباحته (الفولكلور في العهد القديم/٧٦/١)

الدم صرخة الثأر: كما يعتقد ان الدم النازف من القتيل والسائح على الارض يستصرخ الناس للأخذ بثأره فكان العرب يعتقدون انه يتحول الى طائر يدعى (الهامة) يظل يصيح:- اسقوني.. اسقوني.

ويبقى هكذا صائحا حتى يؤخذ بثأره فإذا فعل اختفى الى الأبد.

وجاء في الاخبار ان الملك البابلي (نبوخذ نصر) لما قدم دمشق فإذا هو بدم النبي (يحيى) يغلي... فسأل عنه فاخبروه فقتل على دمه أربعين ألفا فسكن الدم. (ثمار القلوب/٦١)

وعندما قتلت (الزباء) جذيمة الابرش قيل لها احتفظي بدمه فانه اذا اصابت الارض قطرة منه اخذ بثأره، فقامت واستنشفت دمه في (برس) أي (قطن) وحفظته في (ربعة) لها، والربعة جونة او قارورة يحفظ بها العطر. (الحيرة/يوسف غنيمة/١٢٧)

وقد يعبر دم الشهيد عن ظلامته بالكتابة بدلا من النداء والصوت فقيل ان الشهيد (الحلاج) لما قدم ليقتل قال لقاتليه:

-الله... الله في دمي

ولكنهم ذبحوه فساح دمه على الارض وكتب:

-الله..الله

(سير أعلام النبلاء/٣٨٨/٢١)

الارض تلفظ القتلة: وتتأجج لعنة الارض على القاتل فلا تكتفي بحبس غلالها عنه بل تحرمه كذلك احتضانها له بعد موته وتمتنع ان تهب له قبرا يلحد به فلذلك لانجد قبورا للقتلة امثال الشمر ويزيد وغيرهما، ويشير مصطلح شعبي يسير في لغتنا هو قول الناس: فلان (زاعته) الارض بمعنى لفظته او قذفته لانه نجسها بأفعاله، وفكرة هذا المصطلح تبدو قديمة فقد وردت في مصطلح توراتي يقول (ان الارض لفظت سكانها) وفيها وصيته تقول: (فلا تنجسوا الارض فتقذفكم بتنجيسكم إياها) (سفر اللاويين/ ١٨/٢٨)

وفي المأثورات الاسلامية أخبار كثيرة عن قتلة لفظتهم الارض نذكر منها خبرا عن رجل من المسلمين أغار على رجل من المشركين فحمل عليه فقال له المشرك: إني مسلم، اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله، فقتله المسلم بعد ان قالها، فبلغ النبي (ص) ذلك فغضب وقال للذي قتله: أقتلته وقد قال لا اله إلا الله؟ فأجاب: يانبي الله إنما قالها متعوذا وهو ليس كذلك، فقال النبي: فهلا شققت عن قلبي؟ ثم مات القاتل فقبر، فلفظته الارض، فاخبروا النبي بذلك فأمرهم ان يقبروه ثم لفظته الارض حتى فعل ذلك به ثلاث مرات فقال النبي (ص):-

ان الارض أبت ان تقبله القوه في غار من الغيران. (جامع البيان/الطبري/ ٣٠٤/٥)

فهنيئا للمفتين التكفيريين الذين يكفرون المسلمين ويحللون ذبحهم وسفك دمائهم؟ ماذا يقولون لرسول الله يوم الحساب.

الأخوة الدموية:

ونظرا لقدسية الدم فقد جعل موثقا للمعاهدات الائتلافية والتآخي بين القبائل المتنازعة فكان العرب اذا ارادوا المسالمة اجتمعوا وأوقدوا نارا وتحالفوا عندها وتصافحوا قائلين: (الدم، الدم-الهدم، الهدم) والمعنى هو دماؤنا دماؤكم وما هدم لكم من بناء فقد هدم لنا وماأريق لكم من دم فقد أريق لنا، يلزمنا من نصرتكم مايلزم من نصرة أنفسنا.

ولما كان الحلف على التآخي بين الرسول والانصار قال لهم الرسول (ص): الدم، الدم-الهدم، الهدم.

وكان ربما احضر المتحالفان جفنة مملوءة بالدم فغمسوا أيديهم بها وربما لعقوا الدم كالذي كان أمر حلف (لعقة الدم). (المفصل/جواد علي/٥/ ٥٢٠)

وبهذا يرتفع المعنى الرمزي للدم الى دلالة روحية أعلى حين ينظر المتحالفان الى بعضهما نظرة أخوية بخاصة اذا تلاقحت دماؤهما مع بعضها فيقال عنهما أنهما اخوة في الدم (Brothers in blood.)

وقد جرى في بعض التقاليد ان الشخصين اذا أحبا ان يتعاهدا على التآخي يعمد كل منهما الى جرح موضع في يده فيتصافحان وعندها يختلط دمواهما معا فيكونان بذلك أخوي دم.

التآخي الدموي بين المسيح والحسين:

ويمكننا اذا ماوضعنا تلك المبادئ والمعتقدات في المقارنة مع مايحدث عندنا من طقوس إدماء الاجساد حزنا على مقتل الحسين (ع) يمكننا ان نعتبر ذلك ناتجا عن دافع خفي في عواطف الناس يدفعهم الى الوصول الى حالة من التماهي الصوفي مع ذات الحسين.

فهذا الدم المسفوك من قبل محب الحسين يشعر صاحبه بنشوة قصوى من الوجد والامتزاج مع روح الحسين.

ولما كانت المعتقدات تتلاقح فيما بينهما فإننا نجد مأثورة عندنا تقول ان دماء المسيح اختلطت بدماء الحسين وذلك حسبما جاء في بعض التفاسير لقوله تعالى: (فانتبذت به مكانا قصيا) قالوا ان المكان القصي هو كربلاء وان مريم عليها السلام عندما أجاءها المخاض أتت كربلاء من بيت المقدس بليلة واحدة فوضعت الطفل عيسى في نفس البقعة التي ذبح عليها الحسين وسال دمه ثم رجعت تحمله. (قصص الانبياء/ الجزائري/٤٥٧)

وبذلك تكون العلاقة بين المسيح والحسين علاقة ارتباط بين دماء الولادة ودماء الشهداء وهي من أوثق العلائق المعروفة في الولاءات الاخوية.

كربلاء في الثقافة الشعبية

كان يمكن لهذه الصفحة في الثقافة الشعبية ان تظهر عن مدينة كربلاء قبل حين لولا حرص جاسم عاصي وسائر رجال الفكر المأثوري في المدينة على ان تكون المواد المقدمة بمستوى كربلاء التاريخ والمأساة والعشق التراجيدي لهذه المدينة وبمستوى صفحة (ثقافة شعبية) التي اعتاد القارئ الكريم قراءة نصوص جادة في الموروث الشعبي العراقي فيها.

لذا جاءت هذه المواد حافلة بتجارب الكتاب واهتماماتهم وبسير معظم موضوعاتها على الطريق الاساس للمدينة المقدسة، وهو طريق الاستشهاد والفداء والماء والعطش والعرس والموت من اجل الحياة وكل مناقبيات الطف الفاجعة المعنى والتوجه واذ تأخذ تقاليد الموكب الحسيني عند علي حسن الاعرجي اكثر من دلالة وتزدحم بتفاصيل الموكب ومعانيها تأخذ متوالية الماء والعطش والحسين الشهيد والفرات بالذات عند صوغها الخاص عبر الكشف عن دلالات كل معنى وتوهجة تجاه المعاني الاخرى، ويكون البحث الاولي المهم في (قارورة التراب الدموي) للباحث حسين علي الجبوري نموذجاً للبحث المكثف المجدد في الدرس الفولكلوري كما يكون بحث (القاسم بن الحسن) لعبد الرزاق عبد الكريم نموذجا من نماذج الكشف المأثوري عن الصياغات الشعبية لعرس القاسم (ع) مجموعة بحوث في كربلاء والطقس الشعبي المأثوري هي حصيلة هذه الصفحة التي حررها فولكلوريو كربلاء لتقدم اكثر من مادة خاصة بعلاقة الارض بالتاريخ والانسان والمقدس.

القاسم بن الحسن
تراجيديا العرس والعزاء

عبد الرزاق عبد الكريم

تعتبر مراسيم العزاء الحسيني من اقدم المراثي الدرامية في العراق وقد نشأت منذ اكثر من ثلاثة قرون.

وكانت تتعرض بشكل دائم ومستمر للمنع من قبل السلطات لعدة اسباب منها طائفية واخرى سياسية لاعتبارها تمثل حالة الرفض الشعبي للسلطات الجائرة المستبدة.

وبالامكان دراستها دراميا من خلال الحركة التعبيرية المؤداة من قبل الجمهور الواسع الذي يمارس هذه الطقوس وكذلك من ناحية التصوير الداخلة في لغة الطقس.

ان نشوء التعزية في العراق في واقعه هو تقليد لاحياء مأساة كربلاء المتمثلة بقتل الامام الحسين وصحابته لتقابل ما تبعها من مآس انصبت على الشعب خلال مراحل التاريخ من قبل السلطات الجائرة. وتقام التعزية في جميع مدن العراق وخاصة مدينة كربلاء لكونها الارض التي دارت عليها المأساة. وما زالت المناطق التاريخية بمسمياتها القديمة شاخصة تنبئ بحقيقة ما كان.

قبل حلول شهر محرم الحرام من كل عام تتهيأ المدينة بمعظمها لتنظيم المسيرات والمواكب واقامة التعازي فترفع الرايات ويقوم سكان المدينة باعداد الملابس السود التي سيتم ارتداؤها طوال شهري محرم الحرام وصفر المكرم من قبل الجنسين كبارا وصغاراً.ويلف الحزن جميع مرافق المدينة المتوشحة باللون الاسود الذي تنعكس عليه انوار المصابيح الحمر رمزاً للدم الذي سفك على ارض كربلاء.

ويجري استذكار لابطال المأساة حيث تقسم الايام العشرة الاولى من المحرم للاحتفال بذكرى احد الابطال ويتميز من بينهم القاسم بن الحسن اخو الامام الحسين وذلك لكون مشهده يعتبر من اقسى المشاهد المأساوية فهو العريس الذي يقتل ليلة عرسه.

ان الذكرى الخاصة بالفتى (القاسم بن الحسن) الذي كان خاطباً لابنة عمه بنت الحسين والذي قتل بشكل بشع في ليلة بنائه بعروسه لها مكانة خاصة وتأثير كبير في عواطف الناس. ولذلك يعمدون إلى تمثيل مشهد يطلق عليه (عرس القاسم) حيث تقوم ثلة من الرجال الحفاة بملابس بيض باعداد فرس يمتطيها شاب عليه ثياب العرس مع عدة الحرب من درع وسيف ويحمل هؤلاء الرجال شموعاً ذات احجام كبيرة ويرفعون معها اغصان الآس وهم يلطمون الصدور بشكل هادئ على ايقاع اناشيد (ردات) تتضمن كلمات رثائية حزينة تضفي على مشهد الزواج المأساوي رهبة وجلالاً.

وفي هذه الاثناء تقيم النساء طقوس الزواج بشكل منفرد كما هي العادة في الاعراس الاعتيادية حيث يبدأن من الشارع المضاء بالشموع والمبخر بالعطر واعواد البخور وهن يلتففن حول مهرة مزينة بالاقمشة الملونة الزاهية وهي تحمل هودجاً في داخله العروس بملابس العرس البيض فيزفنها بالضرب على الدفوف وإنشاد الاناشيد ويدخلنها إلى بيت العرس المهيأ مسبقاً. وتجلس العروس على منصة مرتفعة ثم يبدأن بانشاد أناشيد الفرح كما هي في حالة الزواج الحقيقي. وتكون امامها (صينية العرس) الممتلئة بالشموع المشتعلة بين جفان الحناء وصحون الحلويات والتمر والآس (وكلها ترمز للخصب. وهي شعيرة قديمة تمتد بالتأكيد على زمن عرس عشتار البابلية).

ويبقى المحتلفون بانتظار مقدم العريس وهم على هذه الحالة من الفرح وينتهي الانتظار بدخول مجموعة من الشباب يحملون العريس وهو جثة مخضبة بالدماء. وهنا ينقلب العرس إلى مأتم فتقوم المحتفلات بأبدال لباس العروس البيض ويلبسنها حلة سوداء مما يلبس عادة في المآتم ثم يأخذن بالبكاء والعويل لطم الصدور ونثر الشعور فتعلو هذه الاصوات وتختلط بصياح النوح وتتحول الاجساد جميعاً من اثر اللطم الشديد إلى شواخص مدماة تتحرك بهياج على ايقاعات الحان الموت الراعبة مما يضفي على المشهد صورة حية من صدق التأثر الدال على عمق التفاعل الروحي مع المأساة الانسانية.

ومما يزيد هذا المشهد تأثيراً واقعياً قيام النادبات بطلاء وجوههن ورؤوسهن بالطين فيظهرن بهذا المظهر المهيج للاحاسيس مع انعكاسات اضواء الشموع وكأنهن الارواح من عالم الموت جئن ليواسين العروس.

وبالاضافة إلى هذا التأثير فان ثمة روائح غريبة تنبعث من المكان هي مزيج من روائح المباخر والعطور المختلطة مع روائح الاجساد المنهكة السابحة بعرق التواجد الصوفي الملتاع فلا يستطيع المرء ان يتمالك نفسه إلا وينخرط في نشيج عميق من البكاء الصادق. ولربما انداح بلا وعي منه مشاركاً النادبات في لطمهن الوجوه وقرع الصدور فيصبح جزءاً من هذا الحزن الجماعي.

ونسمع من خلال هذا الندب قصيدة شجية تثير الالم على الالم والحزن على الحزن تطلقها النادبة الرئيسة وهي (الملاية) فتقول:

اوه قاسم يبني
ديوان عرسك مبني
جت العروس تزوره
اوه يا قاسم يبني
صعدنا جبال وجال
وجبنا دم الاطفال
صعدنا طعوس وطعوس
وجبنة دمه بالطوس
اوه يا قاسم يبني
ثوب العرس اصبح كفن
ثوب العرس اصبح كفن
ديوان عرسك مبني
ديوان عرسك مبني
ديوان عرسك مبني

إن اهم شيء في هذه التراجيديا هي المشاركة الجماعية لجميع المحتفلين على الرغم من الهدف الديني.

المصادر:

١-مشاهداتي وحكايات من والدتي وجدتي.
٢-المسرح في العراق - محمد سيف.
٣-التعازي طقس درامي شعبي - فاضل السوداني.
٤-رؤية في مسرح التعزية - عبد الخالق كيطان.
٥-تراجيديا كربلاء - ابراهيم الحيدري.

الحزن في ضوء المشاعل

علي حسن الاعرجي

المواكب الحسينية في مظاهرها الحالية هي مسيرات شعبية لها هدف اجتماعي وسياسي ضخم سواء من حيث الاخراج ام المضمون ام الانسجام ام الكثافة العددية، وقد أصبحت مدرسة جماهيرية لجمع كلمة الامة على محاربة الاستبداد ودكتاتورية الحكام والسلطة.

ولو سلطنا الضوء على دور الاخراج وكيفية توظيفه لوجدنا انه يمزج الحديث بالقديم مستخدماً الطقوس العراقية منذ العهد البابلي كما في مواكب الحزن والبكاء والمسير وحمل الشموع والمشاعل واستلهام الشعر للتعبير عن هموم وآلام الامة مرورا باستخدام الات الاثارة كالطبول والصنوج والابواق مضافا اليها مادخل فيها من ثقافات امم اخرى ومن دول الجوار كضرب الظهور بالسلاسل (موكب الزناجيل) وادماء الرؤوس بشجها بالسيوف (مواكب التطبير).

وكل موكب حسيني يبدأ بالتجمع قرب (تكية) المحلة او الطرف او تكية الهيأة، ويتم توزيع الرجال على شكل مجاميع (جوقات) وعلى كل جوقة ان تحفظ لازمة شعرية ألفها ولحنها شاعر من المحلة نفسها في الغالب ويستعير لها لحنا حزينا من اغنية تراثية.

يقف الشاعر وسط الجوقة وله دور كدور ضابط الايقاع فعندما يقول المطلع يطلب من الجميع استظهاره وترديده مرات كثيرة حتى تستقيم اصواتهم وتتعود عليه.. ثم يسكت الشاعر وتستمر الجوقة تردد والشاعر يقيس النغم باذنيه فعندما يرى خللا يصححه فيقول مثلا (شوية أثكل.. على كيفك.. شوية اصعد)، وبعد ذلك ينسحب الشاعر ويترك الامر في عهدة مساعديه، ثم يتقدم نحو الجمهور المصطف على جانبي الطريق يسمع الاداء فيحني رأسه ويرفعه ارتياحا للأداء او يهز رأسه بانفعال معلنا عدم رضاه.

إن المستهل أي (الردة) أبيات من الشعر لاتزيد على الاربعة من الشعر الفصيح او العامي او الملمع (الذي يمزج بين اللغتين) ترددها الجوقة الاولى بينما الجوقة التالية لها أربعة أبيات اخرى تنشدها تعاقبا مع إنشاد الاولى، وهكذا يسير الموكب متجها الى صحن العباس (ع) ليأخذ شوطا من اللطم كذلك ويختتم العزاء بأهزوجة جماعية ينطلق بها الكل في صوت واحد (ابد والله مانسى حسيناه).

للموكب الحسيني تقاليد والات خاصة به وابرز هذه الالات (المشعل) ويسميه بعضهم (هودج) وهو عبارة عن هيكل تم تصميمه وتنفيذه من شرائط الحديد المسمى بـ(الراسطة) ويقترب شكله جدا من الزورق، ويتراوح طوله بين الثلاثة والخمسة أمتار، وارتفاعه من المنطقة الوسطى نحو ربع طوله وهذه المنطقة تكون شكلا مكعبا طول ضلعه سدس طول المشعل وتربط في أسفله عتلة حديدية بقطر ثلاثة انجات صيغت بمتانة عالية بحيث تصبح مركزا قويا يتحمل ثقل المشعل العملاق الذي يزيد وزنه على مئتين وخمسين كيلو غراما.

يتوج الهودج من الوسط بهيكل من سبائك النحاس قد استوحى المصمم شكلها من القبة المبنية فوق ضريح الامام الحسين (ع)، ويزين المشعل بعشرات من الفوانيس الوهاجة التي تعمل بالنفط والهواء المضغوط، تم ترتيبها بنسق فني يوحي للناظر اليها من بعيد كأنها جندول مفعم بالنور يشق طريقاً بين نهر من البشر.

ويلعب اللون دوره في تزيين الهودج فتعلق عليه كرات ملونة مستعارة من حلي أعياد الميلاد وبأحجام مختلفة وقد صف المصمم معها مواشير من زجاج الكريستال طولها بطول الإصبع ينكسر ضوء المصابيح في داخلها ليموجها بألوان الطيف الشمسي، وتقوم إذا تحرك الهودج تصطدم بعضها بعضا فتخرج منها اصوات ورنات عذبة مثيرة الانتباه.

ولذلك يخشى على المشعل من العين الشريرة التي قد تصيبه بالحسد فيسقط في أثناء حمله والسير به.

ولأجل دفع شر الحاسد وضع في نهايتي الهودج رأسان لتنينين فاغري الفمين تخرج منهما لسنا من اللهب يعتقد أنهما يحميان الهودج من الشر، ولعل هذه التميمة استعارها مصمم الهودج من تمائم مشابهة توضع في مقدمة السفن لحمايتها من شرور البحار على اعتبار ان الهودج هو سفينة كذلك.

وإضافة الى هذا فإننا نسمع مناديا يصيح بأعلى صوت (عمت عينه وعين أبوه المايصلي على محمد).

وللتعامل مع الهودج تقاليد وعادات وممارسات لايمكن تجاوزها، فانه يوضع على منضدتين خشبيتين ارتفاع كل منهما متر ونصف المتر أمام تكية المحلة وترى صبيا وظيفته ضغط الهواء في الصهريج النفطي الذي يغذي المصابيح بالطاقة ويستعمل مضخة هواء تستخدم في نفخ عجلات الدراجات، في حين يدور مسؤول الصيانة حول الهودج ويقدر شدة الاضاءة ويراقب ضغط الهواء في الصهريج بحذر شديد لكي لاينفجر فتتكرر مأساة انفجار حدثت في مناسبة سابقة راح ضحيتها احد المشرفين على الهودج وهو (حسن مفلس) الذي غفل عن قياس الضغط وضغط هواءً أكثر مما يتحمله الصهريج فوقع الانفجار واحترق حسن ونقل الى المستشفى وهو يتمتم (ياحسين) الى ان فارق الحياة، وكانت الواقعة في أوائل العقد السادس من القرن الماضي.

وحين يتهيأ موكب العزاء للانطلاق يتقدم عشرة رجال من الشباب الاقوياء نحو المشعل وينطلق صوت رجل له ممارسة وخبرة في التعامل مع طقس المشعل بنداء (حيهم، ياعلي) فيرفع الشبان المشعل كما ترفع الجنازة على الاكتاف ويتقدمون أمام الموكب وينصبونه على المنضدتين، يتقدم رجل ذو قامة فارعة تقرأ في عينيه ثقته العالية بقوته ويستمر في التقدم نحو المشعل وهو يرتدي (دشداشة) سوداء وخصره مطوق بنطاق عريض واضعا على كتفه الايسر (الشيال) كأنه يتقلد سيفا وقد شد بالشيال عند مكان (الإبزيم) مكعبا خشبيا تتوسطه حفرة مصممة بطريقة تتيح تعشيق نهاية العمود الحامل للمشعل بها.

ولايستطيع كل رجل ان يحمل المشعل سوى اشخاص معروفين بخبرتهم وتفننهم في كيفية استعراضه والتبختر به وقد اشتهر من اولئك حملة مشاعل معروفين نسمي منهم هادي الحمال ونعمة العبد زنكي وعزيز فارس والسيد محمد أبو الفنرات وشاكر حمال وحميد رشيد.

ولابد من ان نذكر حادثة وقعت لاحدهم وهو الحاج كاظم السلامي فانه بينما كان يقوم بعملية التبختر اختل توازنه فسقط المشعل عليه وقتله.

وحين يشرع حامل المشعل برفعه يكون أولئك الشبان العشرة الذين ذكرناهم محيطين بالمشعل للمساعدة، فيتبادل معهم النظرات ثم يحسم الموقف بصرخة: حيهم!! فيجيبونه بصوت واحد: ياعلي ويتبادرون الى حمل المشعل رفعا بالاكف الى الاعلى، ويسود الجماهير المحتشدة على جنبات الشارع صمت واجف وحينها يتقدم (هادي الحمال) المشهور بحمل اكبر مشاعل المدينة نحوهم فترى في عينيه نظرة فاحصة للمشعل وحامليه فيقوم بتقبيل العمود الرافع للمشعل فيعشق نهايته في مكعب الشيال ويمد يده اليمنى لتمسك المشعل من الجزء الامامي له ويتحرك قليلا لأخذ القرار ثم يصوب نظره الى الجزء الامامي الاعلى من المشعل فلاتبدر منه التفاتة او رمشة عين وكأنما يريد ان يجمع خيوط الضوء في بؤرتي عينيه ويشدها اليه ليصل الى حالة الموازنة، وبعد لحظات يحرك شفتيه من دون ان يصدر صوتا، وكل ذلك يجري والخبير يقف تحت المشعل وقد أحنى ظهره الى امام رافعا رأسه ونظرته مصوبة الى وجه (هادي) وحين تتحرك شفتا (هادي) يترجمها الخبير ويصيح (ياعلي) ليسحب الشباب اكفهم بحركة بطيئة من دون ان ينسحبوا من تحت المشعل فما زال الخطر قائماً، يرتعش (هادي) ثانية من الزمن او اقل وهو يحمل الهودج المتوهج ثم يستقر ويرتفع صوت جمهوري (عمت عينه وعين أبو الما يذكر محمد) ثم يقدم هادي قدمه اليسرى بطريقة لا ترى فيها انثناء لمفصل الركبة مع انفراج بين القدمين ثم يقدم قدمه اليمنى وبالطريقة نفسها وهكذا يبدأ المسير ببطء ثم تتسارع خطاه حتى يخيل اليك انه فقد السيطرة وان المشعل سيقع ولكن الامر ليس كذلك فان هذه الحركة جزء من تقاليد التبختر والسير به.

وفي الواقع ان لهذا المشهد خصوصية ممتعة فان الناظر إليه من مسافة بعيدة نسبيا يرى كتلة من الانوار الملونة ترتفع وتنخفض يصاحبها رنين تصدره المواشير الزجاجية عندما تتصادم مع بعضها، وحين يصل هادي حاملا المشعل الى فسحة واسعة يبدأ بالدوران راسما دائرة قطرها يساوي طول المشعل ثم يصغر قطر الدائرة التي رسمها شيئاً فشيئاً وتزداد سرعة الدوران وتزداد الصيحات من الجمهور: (الله يعينك.. ينطيك القوة.. صلوات على محمد وآل محمد).. وأصوات التحذير الصادرة ممن يطلب المثوبة بإعانته حامل المشعل يدفع الجمهور المحتشد.. (ارجع رحم الله والديك المشعل ثكيل..) ثم تقل سرعة الدوران ويتوقف هادي بعد ان ينال منه التعب فيشير الى الخبير بحركة من شفتيه اشارة فينادي الخبير الشبان العشرة بقوله: (حيهم!!) فيتسارعون نحو المشعل ويتناولونه بأيديهم ليخرج هادي من تحته غير آبه بنظرات الاعجاب المرتسمة في عيون الزائرين الذين يشاهدون المنظر اول مرة، في هذه الاثناء ترى منضدتين خشبيتين تتحركان وحدهما وكأن قوة سحرية تحركهما باتجاه المشعل فتقف كل منضدة في مكانها المخصص ليستند عليهما المشعل بعد إنزاله ثم يخرج من تحتهما طفلان صغيران كان قد أوكل اليهما حمل المنضدتين فحملاهما بهذه الطريقة.

وفي ليلة العاشر من محرم وهي (ليلة ألطبك) يكفن المشعل بطرائق متعددة اشهرها ربط عنق التنينين بقطعة كبيرة من القماش الابيض رمزاًالى الكفن.

أما مساء يوم عاشوراء فتزال عنه كل الالوان عدا اللون الاحمر ويسار به بسرعة اكبر من المعتاد للوصول الى المخيم الحسيني ليتذكر الناس حال النسوة في الخيام بعد استشهاد الحماة وتسمع الجموع تردد: (جني أظل بكربلا حرمه بلا والي).